

التحرير والتنوير

وقد فرع على ذلك قطع الحاجة معهم وإعلامهم أن الرسل " عليهم السلام " ما عليهم إلا البلاغ ومنهم محمد A فاحذروا أن تكون عاقبتكم عاقبة أقوام الرسل السالفين . وليس الرسل بمكلفين بإكراه الناس على الإيمان حتى تسلكوا معهم التحكك بهم والإغاطة لهم . والبلاغ اسم مصدر الإبلاغ . والمبين : الموضح الصريح . والاستفهام ب (هل) إنكاري بمعنى النفي ولذلك جاء الاستثناء عقبه . والقصر المستفاد من النفي والاستثناء قصر إضافي لقلب اعتقاد المشركين من معاملتهم الرسول A أن للرسول غرضا شخصا فيما يدعو إليه . وأثبت الحكم لعموم الرسل " عليهم السلام " وإن كان المردود عليهم لم يخطر ببالهم أمر الرسل الأولين لتكون الجملة تذيلا للحاجة فتفيد ما هو أعم من المردود . والكلام موجه إلى النبي A تعليما وتسلية . ويتضمن تعريضا بإبلاغ المشركين . (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين [36]) عطف على جملة (كذلك فعل الذين من قبلهم) . وهو تكملة لإبطال شبهة المشركين إبطالا بطريقة التفصيل بعد الإجمال لزيادة تقرير الحجة فقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) بيان لمضمون جملة (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) . وجملة (فمنهم من هدى الله) إلى آخرها بيان لمضمون جملة (كذلك فعل الذين من قبلهم) . والمعنى : أن الله بين للأمم على السنة الرسل " عليهم السلام " أنه يأمرهم بعبادته واجتناب عبادة الأصنام فمن كل أمة أقوام هداهم الله فصدقوا وآمنوا ومنهم أقوام تمكنت منهم الضلالة فهلكوا . ومن سار في الأرض رأى دلائل استئصالهم . و (أن) تفسيرية لجملة (فبعثنا) لأن البعث يتضمن معنى القول إذ هو بعث للتبليغ . والطاغوت : جنس ما يعبد من دون الله من الأصنام . وقد يذكرونه بصيغة الجمع فيقال : الطواغيت وهي الأصنام . وتقدم عند قوله تعالى (يؤمنون بالجبت والطاغوت) في سورة النساء . وأسندت هداية بعضهم إلى الله مع أنه أمر جميعهم بالهدى تنبيها للمشركين على إزالة شبهتهم في قولهم (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) بأن الله بين لهم الهدى فاهتداء المهتدين بسبب بيانه فهو الهادي لهم . والتعبير في جانب الضلالة بلفظ (حقت عليهم) دون إسناد الإضلال إلى الله إشارة إلى أن

اﻻ لما نهاهم عن الضلالة فقد كان تصميمهم عليها إبقاء لضلالتهم السابقة (فحقت عليهم الضلالة) أي ثبتت ولم ترتفع .

وفي ذلك إيماء إلى أن بقاء الضلالة من كسب أنفسهم ولكن ورد في آيات أخرى أن اﻻ يضل الضالين كما في قوله (ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا) وقوله عقب هذا (فإن اﻻ لا يهدي من يضل) على قراءة الجمهور ليحصل من مجموع ذلك علم بأن اﻻ كون أسبابا عديدة بعضها جاء من توالد العقول والأمزجة واقتباس بعضها من بعض وبعضها تابع للدعوات الضالة بحيث تهيأت من اجتماع أمور شتى لا يحصيها إلا اﻻ أسباب تامة تحول بين الضال وبين الهدى . فلا جرم كانت تلك الأسباب هي سبب حق الضلالة عليهم فباختبار الأسباب المباشرة كان ضلالهم من لدن خالق تلك الأسباب وخالق نواميسها في متقادم العصور فافهم .

استئصال آثار منها فيروا الأمم آثار لينتظروا الأرض في بالسير الأمر ذلك على فرع ثم A E مخالف لأحوال الفناء المعتاد ولذلك كان الاستدلال بها متوقفا على السير في الأرض ولو كان المراد مطلق الفناء لأمرهم بمشاهدة المقابر وذكر السلف الأوائل .

(إن تحرص على هداهم فإن اﻻ لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين [37]) استئناف بياني لأن تقسيم كل أمة ضالة إلى مهتد منها وباق على الضلال يثير سؤالا في نفس النبي A عن حال هذه الأمة : أهو جار على حال الأمم التي قبلها أو أن اﻻ يهديهم جميعا . وذلك من حرصه على خبرهم ورأفته بهم فاعلمه اﻻ أنه مع حرصه على هداهم فإنهم سيبقى منهم فريق على ضلالة . وفي الآية لطيفتان :